

خَوَاطِرُ حَوْلِ الْوَحْدَةِ الْعَرَبِيَّةِ

بقلم الدكتور عبد الله عبد الرحمن

العمل على الافق العربي . فهناك الحكام ورغبتهم فسي التجزئة ابقاء لنفوذهم ، وهناك الاستعمار المنبث في تربة العروبة والمقاوم لكل وحدة ، وهناك الطائفية التي تحارب الفكرة العربية ، وهناك الفوارق القائمة في الاوضاع الاقتصادية وفي نظم الحكم وفي الثقافة وفي مستوى العيشة . وهناك وهناك ..

وكانت النتيجة التي يخلص اليها مثل هذا التحليل الجزيء المعين في التعداد والفصل والتمييز ، ان على البلاد العربية ان تعمل بنصيحة سعد زغلول حين سأل احداهم عن الوحدة فأجاب : صفر + صفر = صفر يساوي كم ؟ اي ان على كل واحدة ان تتقوى على حدة حتى اذا جمعت لم يكن جمعها جمعا لاصفار ، لا وزن لها ولكن لاجزاء من الواحد .

وكان لا نملك عقله المنظم في البحث ، وكنا نعجب بعرضه الواضح وقدرته على رؤية الصعوبات ونبشها . ومع ذلك ما كنا لنرضى عن هذا التحليل والتجزيء وكنا نشعر ان ثمة ضعفا في عرضه واسلوبه في البحث لا نقوى على تبينه غير اننا نحسه ، نحسه بايماننا بالفكرة العربية وارادتنا لتحقيقها . كان حدسنا طفلا ولكنه كان صادقا وما كان هذا الحدس الصادر عن واقع العروبة الحي فسي نفوسنا ليرضى بكل هذا الظاهر من العقل والتعقل ، وبذلك التعطيل الذي يسمونه واقعية . وكنا نفضل ان ناوي الى مثاليتنا ونجدها اكثر واقعية من أي شيء .

وعبثا كنا نعرض على اصفار سعد زغلول : ان وحدة البلدان العربية ليست جمعا عدديا ، وليست مزجا وخطا . وانما هي اتحاد عميق وتفاعل بين الاجزاء المتحدة ينجم عنه مركب جديد وشيء جديد لا يستبين في عناصره المركبة له . لقد كنا نردد ان الاتصال بين جموع منفصلة من الناس ، كفييل بأن يخلق قوة جديدة زائدة عما لدى كل واحد منها . بل كنا نؤكد ان محاربة الاوضاع الفاسدة في كل بلد عربي لا يمكن ان تظفر اذا ظلت محاربة مجزأة منفصلة يقوم بها كل بلد على حدة ، وان السبيل المثلى للقضاء على عقبات الوحدة هي العمل على صعيد الوحدة وبقوة الوحدة . فللاستعمار لا يقوى على حربه البلد العربي المجزأ ، وحربه عن طريق العمل العربي الموحد . والاضاع الاجتماعية الفاسدة تظل صعبة الزوال اذا كان العمل اقليميا لا عربيا واسع النطاق والامكانيات .

بل كنا نذهب الى ابعد من هذا ، ونحن في عنفوان الايمان . لقد كان ردنا في كثير من الاحيان على صعوبات

كنا طلابا في جامعة القاهرة عام ١٩٤٣ . وكنا في مقتبل العمر يطوّف اكثرنا حول العشرين . وكان همنا الروحي الاول تغذية افكار الوحدة العربية في نفوسنا وفي نفوس من حولنا . وعملنا من اجل ذلك في رابطة جامعية تعرف باسم رابطة الطلاب العرب ، تضم طلابا من اكثر الاقطار العربية ، وعقدنا الندوات ودعونا الى محاضرات ، وحملنا احاديث الوحدة العربية في خلواتنا ونجوانا ، على ضفاف النيل او فوق المروج المرعة امام مكتبة كلية الاداب . . . وكنا نشعر اننا ننمو مع هذا الاهتمام ونحس بتيار الحياة يدب فينا قويا حارا كلما امعنا في هذا الاهتمام وغذيناها . وكنا نقرا في كتاب الواقع الحي وفي كتب الفلاسفة والمفكرين ، نبحث فيها جميعا عن مادة نبلر بها شعورنا العربي ، ونطفيء ظمأنا الى فكرة عربية اردناها فوق كل فكرة . . . وكثيرا ما تأتينا لنا ان نرفع هذه الفكرة الى مستوى المطلق ، الى مستوى الحقيقة الخالدة ، متأثرين بمصطلحات الفلاسفة ، محاولين ان نصب املنا وشعورنا في عالم العبادة وفي محراب الخشوع .

وكنا نصطاد بين الفينة والفينة افكارا لرواد الوحدة العربية تعيد الى نفوسنا ثقتنا بهذا الافق الروحي الذي رسمناه . كان الرائد الاول للفكرة العربية في سوريا ، يتحدث عن قوة هذه الفكرة وحياتها في النفوس . ويشير فيما يشير الى ان الفكرة العربية فكرة حية واقعة ، وانها ان كبتت بعض الشيء فلأن بعض الصدا قد اصابها على مر العصور وبعد ازمان من الاستعمار والاستثمار والنسيان . وانها تحتاج الى من يجلوها وينضو عنها ما علق بها لتغدو جارفة قوية تحطم القيود وتنطلق ماردا جبارا .

وفي مقابل هذا كله ووسط هذا الجو الروحي العارم ، كنا نسأل من شدا اوفر منا في المعرفة وادراك الواقع . كنا نتجه الى بعض الاشخاص الذين عرفوا اذ ذاك بنزعتهم العربية ونطلب اليهم احاديث عن الوحدة ، وندعوهم الى محاضرات عن الفكرة العربية . وكثيرا ما كان املنا يخيب ، وكثيرا ما كنا ننكر على هؤلاء امعانهم في التحليل العقلي .

كان بعض هؤلاء - ومنهم اقرباء مرموقون - يحاول ان يحد من غلواننا وان يحدثنا نحن الفتيان بلغة الراشدين المحنكين . كان يحدثنا احداهم في محاضرة من المحاضرات عن الوحدة . وما كان الا من اعلم المؤمنين بها . غير انه كان يزعم لنفسه الواقعية حين كان يبين العقبات الكاداء التي تعترض طريقها ، وحين كان يعدد الصعوبات التي تحول دون

الواقع التي كانت تتلى على اسماعنا ويبرر بها المبررون بقاء التجزئة ان ننكر هذه الصعوبات أنكار من يريد ان ينصّب ارادته واقعا . كانت افكار الفيلسوف الفرنسي «برغسون» تجذبنا في ذلك الحين ، وكنا نلقف من بينها تلك التي تتصل بالتطور المبدئي والعمل الخلاق وبالاخلاق المنفتحة ، اخلاق البطولة . وكان يحلو لنا تشبيها ياسرنا لانه يجد صدى في احساسنا العربي .

يقول برغسون : انك اذا فكرت في صنع كومة من الرمل على شكل معين عن طريق رصف ذرات الرمل واحسدة واحدة قمت بعمل مستحيل التحقيق . اما اذا تصورت يدا تعث في هذه الكومة من داخل فتخرجها على الشكل المطلوب هان عليك الامر .

كذلك كنا نرى العمل للفكرة العربية . كنا نراه عملا خلاقا يصهر الصعاب ويبددها عن طريق عمل من الداخل ، اي عن طريق الايمان العربي ونضج الشعور بالفكرة العربية . وكثيرا ما كانت ترن في اسماعنا عبارة سمعناها من كبير اساتذتنا في سوريا . كان يقول عندما يحدثه محدث عن الصعوبات والعقبات : ما تعريف البطولة وما تعريف البطل اذن ؟ وكان يجيب : ان البطل هو الذي لا يعترف على الصعوبات ولا يعرف الاعذار .

بهذا الحدس البريء كنا نعيش فكرة الوحدة العربية ونحن في طور الدراسة . وكنا على يقين ان حدسنا اقوى من تحليل المحللين ، وان اكبر دليل على صحة فكرنا ايماننا بها . وكان ايماننا دوما هو ان المحرك الاول لقدر الشعوب هو الايمان الفكري الحي . فاذا ما وجد هذا الايمان كان لزاما عليه ان يجد وسيلة للتعبير عن نفسه قد نجعلها ولكنها واقعة لا محالة . وكنا نعلم ان الفكرة اذا سرت في النفوس وجدت اخيرا في مجتمعها من يعبر عنها ومن يحملها ويشق لها طريق التحقق .

والان ، وبعد مضي خمسة عشر عاما على تلك الاحاسيس المضطربة وذلك الحدس البريء ، يأتي الواقع مصدقا للمثاليين الحاليين لا للمتعلقين المحللين فيما يزعمون . ويقوم برهان جديد على ان الواقعية ليست مجازاة الواقع وانما هي العمل على تغيير الواقع بعد فهمه وسبر اغواره وتياراته ، وان المثالية حين تصدر عن تحسس بما وراء الواقع وعن دفع له تكون هي الواقعية بعينها .

لقد ذابت كثير من الصعاب عن طريق الوعي الشعبي ، وخلق قوة تحريرية في البلدان العربية حطمت قيود الاستعمار الخارجي والاستثمار الداخلي . واستجاب القادة لبدء الشعوب في مصر وسوريا وقرروا ان خير طريق لحل ما قد يقوم في طريق الوحدة من صعوبات هي ان نتحد ، اي ان نعمل ضمن الوحدة وبقوتها .

واليوم يرى كل ذي عينين ان الوحدة التي اعلنت بين سوريا ومصر طريق ايجابية واقعية لحل مشكلات البلدين معا وحل مشكلات العالم العربي كله . فمحاربة الاستعمار سوف تخرج اقوى وأثبت بفضل هذا الاتحاد . والاستثمار الداخلي سوف تقوضه رغبة الشعب المتحد في ان يكون مجتمعا قوميا عادلا يحقق الخير للجميع . والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية سوف تجد وسائل جديدة لرفعها وحل مشكلاتها .

لقد كنا في العام الماضي بالقاهرة ايام اجتماع وفود الوحدة الثقافية العربية . وقرانا في الصحف فيما قرانا حديثا عن مشكلة النسل في مصر وآراء في ضرورة الحد من النسل كوسيلة وحيدة لمعالجة انخفاض مستوى المعيشة وضيق مصر بمواردها . وطاب لنا اذ ذاك ان نذكر بعض اصدقاتنا ان مثال هذه الاحاديث مثال واضح عن المشكلات الزائفة التي يخلقها التفكير في حل المشكلات على الافق المحلي بدلا من حلها على الافق العربي . فالبلاد العربية لا تواجه ازمة سكان ونسل . وسوريا تفتقر على العكس الى ايد عاملة . والمشكلة زائفة اذا وضعنا الامور في نطاق الوحدة . ومثل هذه الامثلة على الحلول العملية الايجابية التي تقدمها الوحدة تند عن الحصر . الم يقرر عالم

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ص.ب. ٦٥٦

تلفون ٢٧٦٨٢

الجنرال كلوب

جندي بين العرب

فؤاد صروف

آفاق لا تحد

داود الانطاكي

عشق المجهول

صلاح الدين المنجد

جمال المرأة

ترجمة جورج طعمه

تكوين العقل الحديث ج ٢

نسيب الاختيار

مصر الثورة

امين نخله

ذات العماد

شليبي العيسمي

حول الوحدة

الامير حيدر شهاب

تاريخ الجزائر

كتاب الخلود والتنقل فسي

العارث بن اسد المحاسبي

العبادة ودرجات العابدين

ارسطو

السياسيات

ترجمة انيس زكي حسن

اللامنتهي

ابو بكر الباقلائي

كتاب التمهيد

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت شارع سوريا ص.ب. ٣١٧٦ . تلفون ٢٧٩٨٣

حضرات مديري المدارس والاساتذة المحترمين
قبل ان تقرروا كتبكم المدرسية للعام الدراسي المقبل
نرجو ان تطلعوا على سلسلات الكتب المدرسية الآتية :
سلسلة الجديد في القراءة العربية: جزءان لروضة الاطفال
خمس اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)
سلسلة الجديد في الادب العربي: اربعة اجزاء لمرحلة
التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية) - جزءان
لمرحلة التعليم الثانوي (البكالورية)

سلسلة الاشياء والعلوم الجديدة: خمس اجزاء لمرحلة
التعليم الابتدائي

سلسلة التربية الصحية في المدارس: جزءان لمرحلة
التعليم الابتدائي والثانوي

السلسلة القصصية لطلاب الادب: ثلاثة اجزاء يحكى
عن العرب والادب القصصي عند العرب
تاريخ لبنان الموجز: تأليف فواد افرام البستاني والدكتور
اسد رستم

سلسلة القواعد العربية الجديدة: ثمانية اجزاء لصفي
الشهادة الابتدائية والتكميلية

سلسلة الجديد في الجغرافية: ثمانية اجزاء لصفي
الشهادة الابتدائية والتكميلية

Mon Nouveau livre de Lecture et de Français

**جزءان لمرحلة الروضة - خمس اجزاء لمرحلة التعليم
الابتدائي (الشهادة الابتدائية)**

Mon Nouveau livre de Grammaire

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)
The New Direct English Course

**احدث سلسلة لتعليم القراءة الانكليزية - جزءان لمرحلة
الروضة - اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي**

The New Direct English Grammar

**احدث سلسلة لتعليم قواعد اللغة الانكليزية في ثلاثة
اجزاء**

**الخطوط العربية الجديدة في خمس اجزاء لتعليم الخط
العربي**

خمس اجزاء لتعليم الخط الانكليزي

New Script and Cursive Handwriting :

خمس اجزاء لتعليم الخط الافرنسي

La Nouvelle Calligraphie Française

**الدليل العام لشهادة الدروس الابتدائية - حساب ،
انشاء ، اشياء ، تاريخ ، جغرافيا ، املاء افرنسي ، املاء
انكليزي .**

الاقتصاد الفرنسي « بيرو » في كتاب له مطول ان كل
وحدة بين بلدين - بما تخلقه من نشاط التبادل والتعامل
وسعة مجالهما - لا بد ان تؤدي الى فائدة البلدين معا ؟ فما
بالنا اذا كانت الوحدة وحدة حية خلاقة تحمل معها ارادة
شعب في ان ينتج ويعمل ويشيد حضارته ويتبوأ مكانته
في العالم ؟

وبعد ، ان كل عمل يولد من ارادة الشعوب عمل محمل
بالقوة حافل بالعطاء . و ارادة الشعوب جبلى دوما بالخصب
والايجاب . والوحدة ، الى جانب كونها مصلحة اقتصادية
وعسكرية ، هي فوق هذا وقيل هذا ارادة شعب وامل
نفوس وانطلاق ارواح . وهذه الارادة هي التي كنا نعبر
عنها حين كنا نرفض القناعة بحجج المحللين ، وهي التي
قصرت الزمن وقربت المسافات ، فجعلت الحلم واقعا في
اقرب مما حلم الحلم . وهذه الارادة هي التي ستحمل
وتتمم بعد الوحدة فتخلق جيلا يعي نفسه لامة وجدت
ذاتها اخيرا ، وتجد قوى وامكانيات تنطلق جسارة لان
وراءها الايمان بالمستقبل والنشوة ببداية الظفر .

ان القوة التي عرفت ان تذيب الصعاب خلال سنوات
معدودات فتخلق الوحدة ، قوة تعرف ان ترقى السى
مستوى العمل لامة متحدة كريمة تثبت اركانها وتعمل على
جمع الاجزاء المتناثرة منها في سائر بقاع البلاد العربية
وتؤدي رسالتها الى العالم رابطة حاضرها بماضيها .

وجل ما نحتاج اليه بعد ان اروت الوحدة كبرياءنا
واعادت الينا ثقنا بامتنا ومستقبلنا ومشاعرنا ، ان ننقل
دون ما ابطاء الى المضمون الايجابي لهذه الوحدة ، الى حفر
الاقية والشعاب المدرسة التي تنطلق فيها حماستنا
القومية ، لنفيد من كل قطرة من قطرات عواطفنا ومشاعرنا .
ونستطيع ان نقول اننا انتقلنا الان - بعد اعلان وحدة
البلدين - من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر . لقد بدأنا
الطريق ووجدناها ، وعلينا الان ان نجعلها مبهدة راسخة .
ولا بد لنا من مجاهدة طويلة ورياضة ودرية اذا ما اردنا ان
نقل شعورنا العربي الى مستوى البناء والانشاء . ان على
مشاعرنا القومية ان تستحيل بعد اليوم خططا مدروسة
وان تترجم الى لغة العلم والعمل . وجميل ان بشائر الوحدة
الاولى كانت تحمل معها في تصريحات المسؤولين منذ الايام
الاولى هذا المعنى الايجابي الذي يتوي وراءها ، من العمل
لسعادة ثلاثين مليوناً من العرب ، ولتحقيق المستوى اللائق
من العيش لامة رضية بالحرمان طويلا في سبيل الكرامة
وجامت طويلا لتأكل من جني ايديها وعطاء ابنائها .

ان اول معنى وآخر معنى من معاني الوحدة العربية تحرير
الفرد العربي من عقالة وقيوده واطلاق سراح امكانياته وقواه
ليكون في مستوى رسالته وحضارته .

عبدالله عبد الدائم

الدوحة - قطر - الخليج العربي